Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا المقطع نجد أنفسنا أمام تحوّلات إبداعية بالغة الدلالة فيها يفترق هذا النص عن سالفيه. فالمسيب والأعشىٰ يتحدثان عن غواص غائب ويشيران إليه بضمير الغائب. وهو منفصل عنهما فهو بالنسبة إليهما مادة معلوماتية يتحدثان عنه ويصفان حاله ويشخصان قصته مع البحر والغوص، فإذا ما تمّ لهما ذلك عطفا الحديث ليجعلا الغواص مجرد صياد للجمانة. ويتحوّل الاهتمام بعد ذلك إلى (الجمانة) التي تتحول بسرعة خاطفة لتكون مجرد دال تزييني يدل على (المالكية) عند المسيب، أو على مجهول آخر عند الأعشىٰ الذي تمادى في عملية التغييب والتجهيل، فأخفى محبوبته وعمي عليها.

من هنا فإن المسيب والأعشىٰ ظلا منفصلين عن النص، وظل النص منفصلاً عنهما. وجاء الغواص أجنبياً وثانوياً وخادماً للدلالة وليس صانعاً لها. وصار وجوده وجوداً بلاغياً فحسب.

وحينما نأتي إلى السياب نجد أن المتكلم هو ضمير النص (أصيح) وهو ضمير الحضور مما يجعله ضميراً حياً يتحرك ويتكلم في النص، يقوله القارىء مثلما يقوله الشاعر. وكل من قرأ النص فسوف يردّد جملة (أصيح بالخليج) بصيغة المضارع وبضمير المتكلم، هذه الأنا النصوصية هي عبارة حية حاضرة، ينطق بها النص والشاعر والقارىء، بحيث إن الجميع يصيحون ويتكلمون ويتفاعلون، حتى إن (الصدى) نطق وتحوّل إلى كائن حي لا يردّد الكلام ويحاكيه ولكنه يتفاعل معه ويتصرف بوعي حاد جعله يغير في العبارة تغييراً جوهرياً له دلالة جوهرية.

وهذه الدلالة الجوهرية هي في سقوط (اللؤلؤة) من نشيج